

# في قيامة الموتى

للقدريس مار أفرام الملقب بالملفاح

## في قيامة الموتى<sup>١</sup>

مغبوطة البلدة وسعيدة المدينة، مغبوطة القبيلة التي فيها صديقون بكثرة، والصد يقون أنفسهم الذين يخلص بهم العالم مغبوطين لان التطويبات معدة لهم، فلنصلح أعمالنا ولنعمل بسير الصديقين لنرث معهم السعادة والفرح الدائم صائرين نوراً وقوة ومدينة لذلك المعظم ليكون لنا فخراً لأن بيده كافة أقطار الأرض وكما يقول المر نم: (يعطي الثلج كالصوف ويلقى الجليد مثل الفتات، قدام وجه برده من يقوم، يرسل كلمته فتذيه، تمب ريجه فتسيل المياه...) <sup>٢</sup> تأخذ منه الأرض نسيم العناية فتكس جمال بمائها بأمره ومثل إناء مذهب مرصع بالجواهر يطرب الناظرين إليه، الطيور تطير مغردة صوتاً حسن النغمة طربه بالهواء، ذوات الأربع معاً تركض في المروج لأنه قد أنبعت بقاع البرية والرعاة في ابتهاج وسرور بمواهب الرب.

الأثمار تسير بسكون من ضغط المياه فتفرح المخلوقات المائية والحيتان تركض مسرورة بشروق الشمس، الأشجار بدلا من أن ينتثر ورقها تكسى بأزهارها وتتجلجل بالورق وتحمل الثمر، الجبال والأودية وكافة الأرض تشيد بمجد الرب لأنه وشاها بزيتها كالعروس ونحن بنو البشر إذا مر الشتاء نفرح متمتعين بحسن اعتدال الأهوية وخصب الأثمار، فلنضع منذ الآن أثمار العدل الحسن قبولها عند الرب ليكون لنا دالة أمام الباري إذ يسر بأعمالنا لأنه بالحقيقة يسر الرب بالعاملين العدل. فلا يتشامخ أحد بعقله أو بقوته أو بثروته لأن هذه تجف كالزهر لكن المفتخر فليفتخر بالرب..

ماذا يكون في الناس معظماً أو مكرماً أكثر من التاج الملكي وهذا لن يدوم لإنسان لأنه جيلا بعد جيل ينتقل من رأس إلى رأس، ماذا للملوك والرؤساء ولم يعطه الله؟ أليس الرب نفسه صنع السماء والأرض وسائر البرايا التي فيها، أما خلق الكل منذ أسس الأرض، أي شيء لم يعطه. أنهم يسودون على الممتلكات والأسلحة والأموال...، لكن قل لي من خلق هذه كلها... هو الرب يهز الأرض كورقة أو كعود يسبح على الماء.

لنعرف ضعفنا فإذا رأينا عظاماً أو جمجمة لمن سبق رقادهم نتنهد، كذلك عظامنا سيبرها الذين بعدنا فيكتبون لأن من هذا الطين بعينه خلقنا كلنا فإذا قد تقدمنا فعرنا هذه يا إخوتي فلنتواضع تحت يد الرب العزيزة ليرفعنا في أوان التعهد ولنبغض المسيح الباطل والتيه والجهل ولتهربن من الكبرياء فإن ا" يناسبها ولنحب التواضع فنصير ودعاء فيعلمنا الرب طريقه.

كم ماتوا منذ إنشاء العالم؟ وكلهم ناموا على الأرض. ليس فرق بين عظام الملك وعظام الأسير ولا فضل للمقتني مركبة لجامها مذهب على الساعي برجليه ولا للمتغذي بأطعمة فاخرة على الذي يعيش بالفقر ولا للمتغذي بأطعمة فاخرة على

<sup>١</sup> من المقالة الثالثة والثلاثين بعد تنقيح وتصحيح كثير

<sup>٢</sup> مزمو ١٤٧ وهو آخر مزامير صلاة النوم.

الذي يهيش بالفقر ولا الجميل الصورة على قبحيها... ينام الكل على التراب إلى أن يبوق البوق المقدس فينهض الراقدون منذ الدهر لينال كل واحد منهم جزء الأعمال التي عملها يجده صالحة كانت أو طالحة.

عجب عظيم!

نشاهد بغتة القبور تنفتح بصوت البوق والموتى الراقدون ينهضون منذ آدم وإلى تلك الساعة في أسرع من طرفة عين هكذا إذا قام الموتى غير بالين يقومون كلهم معاً. الملائكة يسرعون مع البوق العظيم فيجمعون الصديقين من الأربعة رياح من آفاق السماء وإلى آفاقها. ذلك الصوت يحيي الكل ولا يبقى من الناس أحداً فبعضهم يقوم إلى قيامة الحياة ومنهم إلى الدينونة، فإذا سمعنا عن هوض الموتى فلا تكذب ذلك لأن كافة الأشياء ممكنة " وليس شيء غير ممكن له، الذين طرحوا في الأتون وغطاهم اللهب حفظوا بغير مضرة ولم ينلهم بلى، وإذا خرجوا من أتون النار وجدوا سالمين لم يحترق منهم شعرة واحدة ورائحة واحترق اللهب المرتفع لم توجد، هكذا إذا قام الموتى لا يعترهم البلى، ليس العجب من أن شعرة منهم لا تهلك بل إن رائحة البلى لا توجد بعد مدة زمان رقادهم الأشياء ممكنة " ولن يصعب عليه شيء.

اسمع حزقيال النبي قائلاً:

(كانت على يد الرب فأخرجني بروح وأنزلني في وسط البقعة وهي ملائنة عظاماً، وأمرني من حولها وإذا هي كثيرة جداً على وجه البقعة وإذا هي يابسة جداً، فقال لي يا ابن آدم أتحي هذه العظام، فقلت: (أيها السيد الرب أنت تعلم، فقال لي تنبأ على هذه العظام وقل لها: (أيها العظام اسمعي كلمة الرب).

هكذا قال السيد الرب لهذه العظام، هاأنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون، وأضع عليكم عصباً وأكسيتمكم لحماً وأبسط عليكم جلدًا، وأجعل فيكم روحاً فتحيون وتعلمون إني أنا الرب، فتنبأت كما أمرت وبينما أنا أتنبأ كان صوت وإذا رعش فتقاربت العظام كل عظم إلى عظمه، ونظرت وإذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح، فقال لي تنبأ للروح تنبأ يا ابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من الرياح الأربع وهب على هؤلاء القتلى ليحيوا، فتنبأت كما أمرني فدخل فيهم الروح فحيوا، وقاموا على أقدامهم جيش عظيم جداً جداً، ثم قال لي يا ابن آدم هذه العظام هي كل بيت إسرائيل، ها هم يقولون يبست عظامنا وهلك رجاؤنا، قد انقطعنا، لذلك تنبأ وقل لهم هكذا قال السيد الرب، هاأنذا أفتح قبوركم وأصعدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم إلى أرض إسرائيل، فتعلمون أي أنا الرب عند فتح قبوركم وأصعادي إياكم من قبوركم يا شعبي. وأجعل روحي فيكم فتحيون وأجعلكم في أرضكم فتعلمون إني أنا الرب تكلمت وأفعل بقول الرب. (حزقيال ٣٧: ١-١٤).

ولما جاء ربنا وإلهنا يسوع المسيح قال بضمه الإلهي: ( لا تتعجبوا من هذا فإنه تأتي ساعة يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة) يو ٢٨: ٥، ٢٩.

كافة الأشياء ممكنة " وليس شيء يصعب عليه إن كانت السموات أو الأرض أو لجة البحار أو الأعماق أو خليقة ما أخرى في يده، كلها كلا شيء وليقنعك بذلك النبي القائل: من كال بكفه المياه وقاس السموات بالشبر وكال بالكيل تراب الأرض ووزن الجبال با لقبان والآكام بالميزان) أش ٤٠: ١٢ ، ويقول أيضاً: (هو ذا الجزائر يرفعها كدفعة.. كل الأمم كلا شيء قدامه من العدم والباطل تحسب عنده، أش ٤٠: ١٥— ١٧ . أما حبقوق ألنبي فيقول: ( يارب قد سمعت خبرك لجزعت، يارب عملك في وسط السنين أحيه، في وسط السنين عرف... حبقوق ٣: ٢ . والرسول بولس يقول: (في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير فإنه سيبوق فيقوم الأموات عديمي فساد ونحن نتغير لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت إلى غلبة، أين شوكتك يا موت، أين غلبتك يا هاوية.) ١ كو ١٥: ٥٣— ٥٥ .

فمن أجل هذا لا يبكين المسكين ولا يستعظم الغني، ولا يجزن الضعيف ولا يتشامخ القوى، ولا يغتم العبد، ولا يفتخر المولى، فإن الجميع من الأرض وفي التراب يسكنون، إلى أن يجيئ الرب الذي يحيي أجسامنا المائتة. فليفتخر الصديقون ويسروا بالرب. حينئذ يفرح كافة الذين يوجدون أهلاً لذلك الصوت المبارك. تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم... فاصبروا الآن يا صانعي العدل محتلمين الأتعاب من أجل حق الله. فإن تعب هذه الحياة الوقتية بمنحك دالة جزيلة في المستقبل، وضيقه هذا العالم الحاضر تصير لكم نباحا وتعزية، والبكاء الآن يسبب جلالا وفخراً لأنه قد كتب مغبوط كل الصابرين... حينئذ يقول: (هو ذا عبدي يترغنون من طيبة القلب وأنتم تصرخون من كآبة القلب ومن انكسار الروح تولولون وتخلفون اسمكم لعنة لمختارى فيميتك السيد الرب ويسمى عبده اسماً آخر، فالذي يتبرك في الأرض يتبرك بإله الحق والذي يخلص في الأرض يخلص بإله الحق لأن الضيقات الأولى قد نسيت ولأنها استترت عن عيني) أش ٦٥: ١٣— ١٦ ، ويقول أيضاً: (لأني هاأنذا خالق سموات جديدة وأرضاً جديدة فلا تذكر الأولى ولا تخطر على بال) أش ٦٥: ١٧ .

(وستكون سماء جديدة وأرضاً جديدة... وسيمسح الله كل دمة من عيونهم والموت لا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع في ما بعد لأن الأمور الأولى قد مضت.) رؤيا ٢١: ٤ .

أما أنا الخاطئ وبذهني التفكير في أية خيرات أعدت للصديقين وأي غضب أعد للخطاة وأراني أهاون بالأمرين كليهما ولا أعرف لي عملاً حسناً...

أصرخ إليك أيها الرب الصالح والفادي اللهم أغفر لي أنا الخاطيء. إن ذلك العشار كان واقفاً على قدميه مطرقاً إلى أسفل ويقرع صدره متضرعاً ...

أما أنا بما أني مفرط في الخطايا أنطرح على الأرض على وجهي وأضرب بوجهي الأرض هاتفاً إليك أيها المتحنن والطاهر والرهوب اللهم اغفر لي أنا الخاطيء غير المستحق فلا يكون لي هذا دينونة أني اجترئ أن اسمي بلساني النجس وشفيتي الدنستين اسمك الأقدس الفائق السبح إلى الدهور فلتنصر لي الاستغاثة باسمك استنارة وقداسة للروح كرائحة البخور التي إذا ارتفعت تملأ البيت ريحاً طيباً فأحرى بذكرك يارب وهو أحلى من الشهد أن يملأ نفوس الذين يتوقون إليك بأمانة وقداسة واستنارة.

أيها المخلص أعطى شوقاً إلى خلاصك مثل أرض ظامئة منتظرة المطر لأصنع قبل الموت ثمراً ثلثاً أخزى في يوم المجازاة. ارحمنا كلنا بما انك صالح. نشكر لصلاحك يارب لأننا كنا غير مستحقين فأهلنا أن نخدم اسمك الأقدس وأن نسط أيدينا إليك يا أبا الكل نجنا من كل فعل شيطاني وأعط اسمك الأقدس مجداً يارب.

أمنحنا أن نوجد كأرض جيدة صالحة لكيما إذا قبلنا بذراك نثمر مائة وستين وثلاثين. أعطنا يارب أن نتاجر بالفضة التي أعطيتنا إيها لكيما إذا تقرب لك ثمر العدل، امنحنا يارب أن نسهر ونستيقظ لاستقبالك ممنطقين أحقاء أذهاننا ومعنا مصابيح الفضائل غير منطفئة، منتظرين إياك يا ألهنا ومخلصنا يسوع المسيح. أهلنا يارب لاختطاف الصديقين فيمن يستقبلونك في السحب اثلاً نختبر تلك الدينونة المرة فاقدة العزاء. بدد يارب قبل الوفاة وسق خطايانا السابق حملة لثلاً يكون لنا عائق في ساعة الاختطاف ويسحبنا من مصاف القديسين إلى النار التي لا تطفأ، فالعدل هو جناح يحمل الصديقين من الأرض إلى السموات. نعمتك يارب فلتنصر لنا قوة ولتأخذنا في السحب مع الصديقين المختارين إلى لقاتك. يا ملك الكل أمام عرش مجدك ونعائين المجد الذي لا يوصف فإذا استوعبنا نعمة هتفت، المجد لمن ألبس الأذلاء الباليين مجداً وعدم بلي، المجد لمن أعطى المائتين عدم الموت، المجد لمن نجانا من فم الأسد العدو المفسد وجعلنا وارثين لملكه السماوي، أصل كل الخيرات، النور الذي لا يتبعه ليل، السرور الذي لا يوصف والذي لا يشوبه حزن أو ألم حيث يهرب الوجع والغم والتنهد. منذ الآن نكون مع الرب دائماً هذه هي أصوات الصديقين والقديسين والنسك والمختارين في وروده وجماعة الذين استرضوا الإله الرحوم بالتوبة.

يا أحبائي لنقف ولنصغ إلى ذواتنا لنستوطن مع الصديقين ولا يترع أحد سرورنا مسبحين ومباركين وساجدين للثالوث

الأقدس والطاهر والمساوي بالجواهر إلى أبد الدهور.

## عظة على مجئ ربنا يسوع المسيح الثاني<sup>٢</sup>

يا بني النور تقدموا وهلموا اسمعوا صوت مخلصنا الصوت المغبوط المبارك الهاتف إليكم تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم - ملك السموات - فاحذروا يا إخواني أن يعدم أحدكم هذا الميراث السعيد فإنه ها هو على الأبواب، أن النور نزل إلينا فانا رنا وأداننا إليه وأصعدنا معه فإذا نزل إلينا صار من أجلنا مثلنا ليجعلنا مثله. من لا يموت نزل إلى المائتين وحين جعلهم غير مائتين صعد إلى الأب وسيجيء بمجد أبيه المبارك يدين الأحياء والموتى، صار لنا طريق حياة مملوءة نوراً ومجداً لنسلك نحن في النور إلى الأب. تعالوا يا أحبائي فلنسلك في الطريق التي أظهرها لنا الرب لنصل بسرور إلى مملكته ولنأخذ زاداً وزيتاً في أوعيتنا، فليست الطريق قصيرة فلنشده أحقابنا بالحق ومثل أناس وعبيد حافظين منتظرين سيدهم نوقد مصابيحنا لنستقبل ربنا من السموات مقبلاً فلا نغفل فيما بعد لثلاث تنطفئ مصابيحنا قد وافى النور فولى الليل وأتى النهار، يا بني النور بادروا إلى النور أخرجوا بفرح إلى استقبال ربكم أروه فضاء لكم ونسلككم وحميتكم، سهركم وأتعابكم دموعكم وترك القنية. لا ترقدوا ولا ينظر أحد منكم إلى الرذائل التي وراء. بل لننظر إلى ذلك الجمال ألسمائي إلى فوق متأملاً ذلك الجمال والسرور. يا وارثي الملكوت. لأن حذه النعم قد وهبها الله لنا فبماذا نكافئه. فلنطرح هنا كل اهتمام هذا الدهر ولنخدمه وحده بجرص عظيم ونشاط جزيل، فهذا يومه بالحقيقة قرب ووروده بالتأكيد قد حان. هلموا إذن يا إخواني لتتيقظ منتظرين ربنا الختن ألسمائي الذي لا يموت، عندما يشرق وتكون تلك الصرخة التي تنطلق بغتة، ها الختن قادم فخرجوا إلى استقباله أنتم الذين أحببتموه وأعدتم ذواتكم لمعاينته في مجده لأن كافة الذين اشتاقوا إليه يفرحهم في ملكوته الأبدي المنير البهي بالأفراح التي لا توصف.

أحذروا يا إخواني إذا صار ذلك أن يكون أحدكم مصباحه مظلماً لا زيت فيه أو لابساً ثياباً بالية فذرة فيدان ويحكم عليه بالظلمة البرانية وبذلك العقاب أدهري حيث البكاء وصرير الأسنان. لنحذر يا أحبائي فإننا لا نعلم متى يجيئ ربنا لأنه كالسارق في الليل ومثل الفخ يوافي ذلك اليوم وكبرق حاد هكذا يكون حضور الرب. لأنه عند سماع البوق تنزع الأرض من أساساتها وترتعد السموات مع قواتها والموتى يقومون كلهم. يا أحبائي من لا يلومه قلبه في تلك الساعة... إني أظن أن كل نسمة ترتعد في تلك الساعة لكن نعمة الله تقوى وتفرح قلوب الصديقين فيخطفون في السحب إلى استقباله. أما المضطجعون والعاجزون الذين يشبهونني فيلبثون على الأرض مرتعدين. فلنخفف ذواتنا يا إخواني من الأرض قليلاً لترتقي بسهولة إلى السماء. ماذا ينفعنا العالم الذي قيدنا بمومه. أم ماذا نربح من الانصراف إلى تزيين الثياب سوى نار لا يطفأ أو

<sup>٢</sup> عن المقالة الحادية والعشرين.

تعدد أنواع الأغذية والتنعم سوى تعذيب مؤبد. أعرفوا أننا بالتأكيد إن لم نجاهد في هذا الزمان القصير فإننا نعذب هناك إلى أبد الدهر.

يا إخواني لم نتوان ولم نضطجع لماذا لا نفدى أنفسنا ويوم الرب يقترب منا، لم لا نطرح عنا كل اهتمام غير نافع ونخفف ذواتنا من ثقل الأمور الأرضية. أما عرفتم أن الباب ضيق ولا يستطيع الجزيل القنية أن يدخل منه بل من لم تغريهم قنية الذين قد اختاروا الباب الضيق لذواتهم باختيارهم النسك والتعب والذين أعدوا ذواتهم لمعاينة الختن السمائي الباقي في مجده، ويورثهم ملك السموات... يدعو كل واحد باسمه وينكته في طمخة القديسين المتصرفين في النور الذي لا يوصف في الحياة الأبدية. لنحرص إذن يا إخواني في هذا الزمان اليسير. لتتقظ هنا لئلا نندب إلى الدهور التي لا نهاية لها حيث لا تنفع الدموع والزفرات وحيث لا توبة. إن حرصكم يسر به الملائكة ورؤساء الملائكة وتوانيكم يفرح به العدو... لك أجتو ساجداً أيها الرب يسوع المسيح ابن الله الحي أعطني ولكافة الذين يحبونك أن نعاينك بمجد في ملكك ونرث مع كافة الذين أحبوك وتاقوا إليك. يا أحبائي أن توانينا واضطجعنا في هذا الزمان اليسير فلا تكون لنا دالة في ذلك اليوم الرهيب. لأننا لا نجد حجة عن خطايانا لأنه منذ أنحدر ألبنا ربنا ومخلصنا أنترع كل حجة. لأنه وهب لنا حين جاء الحياة الأبدية. كنا أعداء فصالحنا، وأرضيين فصرنا سمائيين، وماتتين لجعلنا غير ماتتين. وبني الظلمة فصيرنا بني النور، كنا مأسورين فقदानا، وعبيداً للخطيئة فرحمنا وحررنا، كنا مساكين فصيرنا أغنياء، كنا ضائعين فوجدنا... كنا خطاة فخلصنا، كنا تراباً ورماداً فصيرنا بنين، كنا عراة فسترنا وصرنا وارثين للملكوت. هذه النعم قد وهبها لنا ربنا فيماذا نكافئه يا أحبائي هلموا فلنطرح عنا كل اهتمام باطل ونخدمه بحرص عظيم ونشاط كبير...

أيها المسيح حياتي خلصني أنا الخاطئ في ملكك. أن لساني يتعب في تلاوة التمجيد، لا تجازني نظير أعمال بل خلصني بنعمتك وتراءف على بتحنك فإنك أنت هو المبارك والمجد إلى الدهور آمين.